

لما أعجب من ضلال خوارج العصر ومعضيتهم لله تعالى في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء: 59]، ومعضيتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله من صحيح مسلم: "اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم" جواباً لسؤال سلمة بن يزيد: أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقاً؟ فكيف إذا أعطوا فوق حقهم، ولم يؤخذ منهم شيء كما هو واقع الحال؟ فإن الله يضل من يشاء، ويهدي إليه من أتاب. ولكنني أعجب من الرعاع الذين يتبعون كل ناعق، كالأنعام بل هم أضل، كيف يختتم على أسماعهم وقلوبهم ويجعل على أبصارهم غشاوة، فلا يسمعون الحق ولما يفقهونه، ولما يبصرون طريق العدل، وإنما يصدق عليهم قول شوقي:

(يا له من بغاء * عقله في أذنيه)

الخوارج (مثل الفقيه والمسعري) علمتهم دولة التوحيد والتوحيد من جهل، وأطمعتهم من جوع، وأمنتهم من خوف، فلما شبعوا طغوا وبغوا كما قال الله تعالى عن بعض شرار خلقه: (كَلَّا إِنَّ لِلْإِنْسَانِ لِيَطْغَى * أَنْ رَأَاهُ اسْتِغْنَى) [العلق: 6-7]، وبلغ بهم سوء المنقلب أن جمعوا مع معصية الله ورسوله وأولي أمرهم: هجر بلاد الإسلام والدعوة إلى التوحيد والسنة، وبيت الله الحرام، ومدينة الرسول والمهاجرين والأنصار، والهجرة إلى بلاد الشرك والكفر وما دونهما من البدع والمعاصي. كان اليمينان يأزر إلى المدينة، ثم صار الضلال والفتنة يأزران إلى أوروبا النصرانية العلمانية ليكون أبناء المسلمين أبواقاً لأعداء الإسلام والدعوة إليه. وخوارج العصر يقتدون بأسوأ ضلالة سبقتهم إلى كفر النعمة والهجرة من بلاد ودولة التوحيد والسنة إلى بلاد أوثان المقامات والمزارات والأضرحة وما دونها من البدع والمعاصي، ولكنهم اختاروا بلداً من بلاد المسلمين (ولو بالانتماء) أشهرهم (وربما كان أولهم): عبد الله القصيمي، الذي آوته بلاد ودولة التوحيد، وبعد هجرته من مصر وإعلانه اختيار التوحيد على الشرك، والسنة على البدعة، في مثل كتابه الصراع والبروق، ثم انتكس في اختياراته كلها - عافانا الله مما ابتلاه به -، ولكنه كان صريحاً في توجيه خروجه على الدين أكثر من الخروج على الجماعة والولاية، وعاش عشرات السنين ينشر الإلحاد في مصر خدمة للشيطان وأوليائه، ولما بلغ أولاده سن التعليم لم تأخذهم الدولة السعودية بجريمة والدهم بل تحملت نفقات دراستهم في الخارج، ولعل هذا من أسباب ما يروى عن التفات الوالد قبيل موته لدراسة القرآن الكريم، ولعله مات مسلماً.

وبرز بعد القصيمي (وأصله صعيدي) ومعه الخارجي على الدين والدولة: عبد الرحمن المنيف (وأهله من القصيم وإن ولد في الخارج)، واختار طريق البعث العربي الاشتراكي حتى عد من رموزه، وعاش عشرات السنين في الخارج بين البعثية والشيوعية، وأسقطت الدولة السعودية جنسيتها عنه لأن أول شروطها: الإسلام، ولكنها (فيما أعلن بعد موته) عرضت الجنسية على أولاده أملاً في إنقاذهم من مله والدمهم.

وبين هذين الخارجيين خرج ناصر السعيد على دولة التوحيد والسنة، واختار بيروت مركزاً لإعلان انشقاقه، ولما أعلم عنه خروجاً على أحكام الشريعة (غير الخروج)، ولما أعلم عنه ارتباطاً بأحكام الشريعة، ويظهر أن أكبر همه مجرد الخروج والانشقاق، وعاش عشرات السنين خارجياً منشقاً، ولما أراد الله كفاً أذاه أعلن السعيد (المشقي، عافانا الله مما ابتلاه به) أنه وراء فتنة جهيمان وعصابته في المسجد الحرام، ولما كانت الدولة - كعادتها - لا تلاحق المجرمين خارج حدودها، وكانت لبنان تعاني من الحرب الأهلية؛ فلربما استحل أحد المسلمين إقامة حد الحراية على هذا الخارجي بادعائه على نفسه الاعتداء على المسجد الحرام بما لا يقره جل الطوائف المنتمية للإسلام، وأعلن في بعض وسائل الإعلام أن مسلحاً لبنانياً أخذ السعيد المشقي من أحد مقاهي شارع الحمراء فلم يسمع له بعدها صوت (ولو صدى نباح الكلاب الضالة، مثل بقية الخارجيين المنشقين)، والحمد لله على فضله ونصره.

وفي العام الذي طهرت الجنسية السعودية من أن يحملها المنيف طهرت من أن يحمل جواز سفرها عدد من الخارجيين المنشقين (تسعة رهط أو يزيدون) لجؤوا إلى مصر إعجاباً بالثورة المصرية، فعاجتهم دولة التوحيد والسنة بعلاجها الوحيد لكل خارجي منشق: الإهمال، وبعد أن قضى الإعلام المصري منهم وطره وأهملوا في مصر أيضاً، فتسابقوا يستجدون العودة إلى الدولة المباركة تحذوهم الدنيا (لما الدين في غالب الظن، مثلهم مثل جل الوافدين للعمل أو الإقامة أو الهجرة)، فأذن لهم بالعودة بعد ملاحظة قصيرة ليذوقوا وبال أمرهم، تجاوز الله عنهم.

وقبلهم وبعدهم لم يجد الشيطان صعوبة في إغراء عدد من الضباط والطيارين والسياسيين للوقوع في خيانة دينهم وولادة أمرهم، فما تكلف الشيطان إلا أن دعاهم فاستجابوا له، ولما أخزاهم الله ورد كيدهم أعلنوا التوبة (أكثرهم) واستجدوا الصفح، فعفي عنهم، وعدد منهم حصلوا على أعلى الوظائف الإدارية والثروة.

ولكن اثنين من الخارجيين المنشقين هما الأعتى والأشرس والأقرب إلى تحقيق أهدافهما الباغية، وأشهرهما: فيصل الدويش (الحفيد)، وقد تعاون مع الملك عبد العزيز رحمهما الله على توحيد أكثر جزيرة العرب على التوحيد بصفته أحد قادة جيشه في المرحلة الثالثة من مراحل التوحيد، ولعله كان يأمل في توليته الإمارة، ولما نيس من ذلك خرج على ولي الأمر بحجة مخالفته الشريعة بتعاقد مع النصارى على التنقيب عن الزيت واستخراجه، وباستعماله البرق والهاتف والراديو، وبفرضه الضرائب على المستوردات من الخارج، ونحو ذلك من المستحدثات، واختار المواجهة الحربية وخسر أكثر من مرة، وعفا عنه الملك عبد العزيز أكثر من مرة، وفي المرة الأخيرة ظن أن عضو الملك لن يتسع له، فلجأ إلى المعتمد البريطاني في الكويت (كما فعل الفقيه والمسعري بعده بعشرات

المسنين دون ذريعة دينية ولما خوف من القتل)، وأثناء محاربة الدويش (وأعوانه الخارجيين) لولي أمره حقيق محمد أسد (ليوبولد فايس) رحمه الله في مصدر سلاح المنشقين ومصدر تمويلهم، فتأكد من أن إنكلترا مصدر السلاح والتمويل بطريق الكويت، وحقق في هدف إنكلترا من ذلك فاكشف مخططاً لتقسيم جزيرة العرب بين إنكلترا (لحماية حدود احتلالها وطرق اتصالها بالهند)، وبين المطران والمعجمان والعتبان وأعوانهم من الخوارج، ويعتقد محمد أسد أن نشر اكتشافه في الصحف الأوروبية ساهم في إفساد هذا المخطط، (اقرأ التفاصيل إن شئت - وليس لزاماً - في كتابه: الطريق إلى مكة).

أما ثاني الخارجيين فهو فيصل الدويش (الجد) الذي تعاون مع الدولة السعودية في أواخر مرحلتها الأولى، وكان من أهم أسباب نكبتها فيما يروى عنه أوروبي آخر (يتوفر له الحياد والدقة والمصير على البحث مثل محمد أسد) كان يقيم في مصر أثناء غزو إبراهيم باشا دولة ودعوة التجديد في جزيرة العرب بأمر الدولة العثمانية المظالمة دينياً ودنيوياً، وتميز بالتعرف على الحقيقة كما يراها السعوديون المنفيون في مصر من العلماء والأمراء، وكما يراها المصريون الذين اشتركوا في الغزو المظالم، كان فيصل الدويش (الجد) حسب روايته أقوى أعوان إبراهيم باشا في هجومه على الدرعية عاصمة الدعوة والدولة بما وفره من رجال وجمال ومؤمن ومعرفة بالمنطقة وأهلها على وعد بتوليته على الدرعية بعد طرد أهلها منها، ولما تحقق الهدف من الغزو ونقض إبراهيم باشا وعده للدويش بل طالبه بأداء ضرائب خمس سنوات مضت لم يطالب بها وقت الحاجة إلى خيانة الدعوة والدولة السعودية، فلما يئس من الحصول على الإمارة هرب إلى أرضه وقومه، وأرسل إلى إبراهيم يعيره بنكث وعده، ويذكره بأنه ما كان له أن يهزم الدرعية دون عونه، وأيد هذه الدعوى المؤرخ الفرنسي فيلكس مانجان في كتابه: تاريخ مصر في عهد محمد علي (ترجم ما يتعلق بحملات محمد علي على الدعوة ودولتها: د. محمد خير البيهقي)، قال مانجان عن أول علاقة الدويش بالجد بحملة إبراهيم باشا: (عقد اجتماعاً طويلاً ووعده إبراهيم باشا بتعيينه حاكماً على الدرعية، لقد أصبح فيصل الدويش تابعاً للقيادة العامة وقدم لحليفه وسائل النقل والمؤن، وأصبحت قبيلته جزءاً من الجيش التركي)، ويقول عن آخر العلاقة بينهما: (قال الدويش لمرافقيه من ضباط جيش إبراهيم باشا: إن إسهامي في سقوط الدرعية لا يقل عن إسهام جيشه، وإنه مكافأة لي على خدماتي قابلني بالبحرود. كان باستطاعة فيصل الدويش أن يهزم الأتراك ويخلص بلاد نجد من أعدائها ولكنه فضل الاعتزال في الصحراء على طريق بغداد).

هذه الأمثلة تبين كيف: (وَيَمَكُرُ الْمَلَهُ وَالْمَلَهُ خَيْرُ الْمَكْرَيْنِ) [الأَنْفَالُ: 30]؛ كم يحرك الشيطان والأنفس الأمارية بالسوء شياطين الخوارج على أول دولة تؤسس على التجديد والتوحيد والدعوة منذ القرون الخيرية، فيرجع الخوارج بالحسرة والندامة والمخزي، وترجع الدولة المباركة بالنصر والتمكين وحسن العاقبة في كل حادثة خروج. ويتبين من هذه الأمثلة ونحوها أن الأسباب المتخذة ذريعة للخروج مختلفة، وكان المهم الخروج، ثم البحث عن سبب يحتج به الخوارج.

وإذا كان كثير من الخارجيين (بالفعل) يخدم المبلاد والدولة بالبعد عنها كما ورد في الحديث: أن الأرض المقدسة ترجف بالمنافقين ليخرجوا منها؛ فإن المبلاد والعباد والدولة تبتلى بخوارج (القول) ممن لا يستفيد منهم الدين ولما الدنيا، ويبقون في المبلاد يأكلون خيرها وينشرون الإشاعات والأكاذيب، يسمون في لغة الجرائد (الطابور الخامس)، يبتون سمومهم ويحسبون أنهم مهتدون. قال لي أحدهم: لماذا تنكر المظاهرات والمضاربات؟ فأجبت: ما الحاجة إليها؟ فقال: أعرف شارعاً مكسراً في الدمام من يصلحها؟ فتعجبت: تنسى عشرات الآلاف من الكيلومترات الصالحة وتذكر فاسداً واحداً؟ فزاد في المكذب: كل الدمام مسكّرة، فذكرت قول الله تعالى (الشَّيْطَانُ يَدْعُوكُمُ إِلَى الْفَقْرِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمَلَهُ يَدْعُوكُم مِّنْ غَيْرِهِ مِنْهُ وَفَضْلٌ وَالْمَلَهُ وَسِعَ عِلْمٌ) [البقرة: 268]، ولو لم تذكر نعمة الله بالطرق؛ فلتذكر الأهم منها ومن الدنيا كلها: أنك لا تجد مسجداً مبنياً على قبر، ولما وثناً من أوثان المقامات والمزارات، ولما زاوية صوفية مما ابتلي به كل بلاد المسلمين.

ولقد بدأت إنكاري المظاهرات والمضاربات والآيات والأحاديث التي تنهى عن الخروج بالقول والعمل، فكيف لا تقتنع بها، وتلزمي برأيك الفاسد؟ والله المهادي. (1432هـ)